الوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزواجى فى الأسرة المسلمة

التساؤل التاسع:

ما أهم الطرق والوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزواجى فى الأسرة المسلمة؟

أولاً: الطرق والوسائل الوقائية:

١. استحضار النية للزواج

٢. حسن اختيار شريك الحياة

- معايير اختيار شريك الحياة
- صفات الزوجة الصالحة

٣. أن يكون المقبل على الزواج سعيداً في نفسه

٤. قداسة الروابط بين أفراد الأسرة

٥. الالتزام بالقيم الأخلاقية

ثانياً: الطرق والوسائل العلاجية بعد الزواج:

١. الالتزام بآداب الأسرة الإسلامية

٢. التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب

٣. الدعاء وسؤال الله التوفيق والسداد

obeikandl.com

obeikandl.com

الوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزواجي في الأسرة المسلمة

التساؤل التاسع:

ما أهم الطرق والوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزواجي في الأسرة المسلمة؟

لقد عبر الإسلام عن التوافق الزواجي بتعابير كثيرة منها السعادة، والسكن فهما أساس تحقق التوافق الزواجي في أي أسرة مسلمة، الذي يتحقق عن طريق عدد من الطرق والوسائل.

وتنقسم طرق ووسائل التوافق الزواجي إلى قسمين: طرق ووسائل وقائية قبل الزواج ـ وعلاجية بعد الزواج.

أولاً: الطرق والوسائل الوقائية:

١ ـ استحضار النية للزواج:

إن النية الطيبة هي شرط قبول العمل ونجاحه لقول تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢٢٣] ومعنى التقديم للنفس هنا: «التقرب إلى الله بمباشرته لزوجته ويجامعها على وجه القربى والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية، الذين ينفعه الله بهم». فالزواج من أهم الأعمال التي يجب أن يسبقها نية أكيدة لتحقيق الأهداف الإسلامية للزواج وبناء الأسرة، والتي من أهمها: إحصان الرجل والمرأة، والتناسل والتكاثر.

٢. حسن اختيار شريك الحياة:

إن اختيار الشريك من أهم الأسس في بناء السعادة الأسرية، فهي تتوقف على حسن اختيار الشريك لكن التوفيق في حسن الاختيار ليس سهلاً. وتوافر الكفاءة للزواج أمراً يصعب اختياره لذلك من النهج الإسلامي أن يحاول المسلم السؤال والتقصي عمن يريد الزواج به، ثم يستشير من هم أهل خبرة، وذوي رأي ومشورة، ثم يستخير الله في جميع أموره، وخاصة في أمر زواجه، بالإضافة إلى هذه الأمور وضعت بعض المعايير للاختيار يجب أن يضعها الإنسان في اعتباره عند الاختيار، وهي كالتالي:

معايير اختيار شريك الحياة:

١ ـ **الانسجام الروحي**: وهو عملية سيكولوجية صرفة، ذلك أن الإنسان عندما يرى فتاة في أول الأمر إما أن يتقبلها في قلبه أو يرفضها، وذلك قبل أن يختبرها أو يعرف أخبارها. ولعل هذا ما قصده الرسول ﷺ من قوله: (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) [صحيح مسلم، ٤/٢٠٣١] وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

٢ ـ **الاتفاق في العقيدة**: ويشمل الاتفاق في العقيدة والقيم والاتجاهات والميول والأفكار الأساسية والنظرة إلى الحياة بوجه عام.

٣ ـ **الاتفاق على نوع الحياة**: ويشمل القيم والعقيدة، والجوانب المادية، أو الحسية من الحياة أو مظاهر الحياة بوجه عام.

ويدخل في نطاق ذلك التوافق الزواجي أو التكيف الجنسي. ومع أن الاتفاق على هذه النقطة من أصعب النقاط إلا أنه ينبغي أن يترك الأمر للصدفة؛ إذ من الممكن أن نستكشف بعض ملامح هذه الحقيقة أو نتنبأ بها إلى حد كبير ببعض الوسائل التي تساعد على عملية التكيف، والتوافق الزواجي.

ومن الوسائل ما يلي:

* مدى قوة دافع الجنس لدى الفتاة.
* التقارب في السن بين المزوج والزوجة.
* الإتفاق في قيمة موضوع الجنس وفي الاهتمام به أو عدمه.
* عدم اختيار الزوجة المريضة وخاصة إذا كان المرض مستعصياً.

٤ ـ معرفة كل من الطرفين للآخر معرفة جيدة: وهذا مهم جداً لأنه عندما يعرفها معرفة جيدة يستطيع أن يقرر مصير الحياة الزوجية إلى حد ما، فإذا قبلها مع ما فيها من صفات فمعنى ذلك أنه مستعد لتحملها. وهنا لابد من التمييز بين الصفات الأساسية والصفات الثانوية؛ فالأولى لابد منها لدوام الحياة الزوجية. والثانية هي الصفات التي يستحسن أن توجد والصفات التي يستحسن ألا توجد، وتطاق الحياة بوجودها مع الضيق أو مع شيء من التحمل والصبر. وهذه الصفات تختلف من شخص لآخر، مع وجود قاسم مشترك من الصفات المرغوبة بين الناس جميعاً.

صفات الزوجة الصالحة:

١ ـ أن تكون مسلمة.

٢ ـ أن تكون ذات دين وخلق.

٣ ـ أن لا تكون من القريبات المحرمات.

٤ ـ أن تكون عفيفة غير زانية.

٥ ـ أن لا تكون مخطوبة للغير.

٦ ـ أن تكون ولوداً غير عقيم.

٧ ـ أن تكون من أسرة غير أسرته أو من جنس غير جنسه: وقد كان معروفاً عند العرب قولهم: (اغتربوا لا تضووا) أي لا تهزلوا ولتصبحوا أقوياء، وجاء النبي ﷺ فأكد هذا المبدأ في قوله: (يا بني هاشم عليكم بنساء الأعاجم فالتمسوهن فإن في أرحامهن بركة) [ابن قدامة، ج٧، ٣٠].

٨ ـ أن تكون بكراً، فقد قال ﷺ: (عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنقى أرحاماً وأرضى باليسير) [البيهقي، السنن الكبرى، ٧/٨١]؛ لأن ضعف العقل يورث فمن أراد أن يكون ولده عاقلاً فليتجنب الحمقاء.

٩ ـ أن لا تكون شديدة الغيرة؛ لأن الغيرة تدخل الشكوك إلى القلوب مما يعكر صفو الحياة ويزيل السعادة.

وبالنسبة للزوج فهو ينطبق عليه كل المعايير السابقة، إلا أنه يشترط له الصلاح، ومعايير الصلاح ليست المال، والجاه والحسب والنسب، وإنما هي الدين.

وقد حث رسول الله ﷺ على تزويج الصالح وتفضيله، وتخفيف المهور، والتيسير على المتزوجين. وتزويج المعسر ومساعدته لقوله تعالى:

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ [النور: ٣٢]، وحث ﷺ على تخفيف المهور وإثبات حق المرأة في الصداق لقوله تعالى: ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ [النساء: ٤].

٢ ـ أن يكون المقبل على الزواج سعيداً في نفسه:

إن لم يكن الإنسان سعيداً فلن يستطيع أن يسعد غيره؛ لذلك يجب أن يسعد الإنسان نفسه أولاً قبل أن يبدأ ببناء أسرته، ويدخل في العلاقات الزوجية. فالسعادة تدور ضمن دوائر حياة الفرد وشبكة علاقاته؛ حيث جعل الله سبحانه وتعالى هذه العلاقات تدور في الميادين التالية:

١ ـ ميدان النفس حيث يبدأ الإنسان التعامل مع نفسه بالعدل والإحسان بأن يضبطها ويزكيها بالأعمال الصالحات ويقومها ويعدلها بصونها وتجنيبها السيئات قال تعالى: ﴿ ونفس وما سواها (٧) فألهمها فجورها وتقواها (٨) قد أفلح من زكاها (٩) وقد خاب من دساها ﴾ [الشمس: ٦ ـ ٩]! وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ [النساء: ١٣٥]، وبذلك يحصل له التوافق الشخصي والنفسي، وتحصل له السعادة النفسية.

٢ ـ ثم تأتي دائرة وميدان الأسرة حيث تسود الأسرة علاقة العدل

والإحسان، فعلى الوالدين أن يعدلوا بين أبنائهم، وعلى الرجل أن يعدل بين زوجاته، ويحسن إلى كل منهن لتتحقق لهم السعادة والتوافق.

﴿ وإنْ خفتم ألاَّ تُقسطُوا في اليتامى فانكحُوا ما طاب لكُم منَ النِّساء مثنى وثلاث ورُباع فإنْ خفتم ألاَّ تعدلُوا فواحدةً أوْ ما ملكتْ أيمانكُمْ ذلك أدنى ألاَّ تعولُوا ﴾ [النساء: ٣].

٣ ـ ثم دائرة القربى ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسنُ حتى يبلغ أشدَّهُ وأوفُوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلاَّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفُوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شُهداء لله ولوْ علىٰ أنفُسكُم أو الوالدين والأقربين إن يكُنْ غنيًّا أوْ فقيراً فاللهُ أولىٰ بهما فلا تتبعُوا الهوىٰ أن تعدلُوا وإن تلْوُوا أو تُعرضُوا فإنَّ اللهَ كانَ بما تعملُون خبيراً ﴾ [النساء ١٣٥].

٤ ـ دائرة الأمة التي ينتمي إليها الفرد والجماعة قال تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المُؤمنين اقتتلوا فأصلحُوا بينهما فإن بغت إحداهُما على الأخرىٰ فقاتلُوا التي تبغي حتَّىٰ تفيء إلىٰ أمر الله فإن فاءت فأصلحُوا بينهُما بالعدْل وأقسطُوا إنَّ الله يُحبُّ المُقسطين ﴾ [الحجرات: ٩].

٥ ـ أخيراً دائرة الإنسانية قال تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ يأمرُكُم أن تُؤدُّوا الأمانات إلىٰ أهلها وإذا حكمتُم بينَ النَّاسِ أن تحكُمُوا بالعدْل إنَّ اللهَ نعمَّا يعظُكُم به إنَّ الله كانَ سميعاً بصيراً ﴾ [النساء: ٥٨] فهذه العلاقات متشابكة متماسكة

مؤثرة ومتأثرة؛ فنجد السعادة الفردية تؤثر فى العلاقات الأسرية والعلاقات الأسرية تؤثر فى سعادة الإنسان من جهة، وسعادة المجتمع وتوافقه من جهة أخرى.

إن السعادة لا تأتى بمجرد الرغبة فيها، ولا تأتى بمجرد اعتناق مبادئها، بل لابد من العمل الجاد والسير فى طريقها وتحقيق شروطها:

الشرط الأول:

أن تكون نيات الإنسان وغايته جميعها خيرة فى حياته كلها لقول الرسول ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...) [البخارى] ولتحقيق الإحساس بخيرية الحياة لابد أن يحس الإنسان بخيرية ذاته، ويحس بتحقق الصحة الكاملة للجسم والعقل والنفس والروح، وأن يعتدل فى أعماله، وأن يراعى النظافة والطهارة فى الظاهر والباطن.

الشرط الثانى:

أن يكف عن جميع الشرور والرذائل الأخلاقية وهو ما أسلفنا من تزكية النفس. ولهذا قال الرسول ﷺ محذراً من الرذائل والشرور: (البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت فكما تدين تدان) [الإمام أحمد ١/١٣٢].

الشرط الثالث:

فعل الخيرات بالنيات الخيرة: فالعمل الصالح مشروط بالنية وشرط قبول العمل هو النية الخالصة لله، واتباع سنة رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿ مَنْ

عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل: ٩٧].

الشرط الرابع:

أن تكون أعمال المرء متفقة مع ما يعتقده أو لا تعارضه على أقل تقدير؛ فتعارض حياة الإنسان العملية مع معتقداته يحصل له صراع نفسي لإحساسه بالذنب بسبب أنه لا يسير بما يعتقده. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. وبذلك يحقق الإنسان لنفسه العدل والإحسان، والهدوء والاستقرار والتوافق، وإذا تحقق له ذلك استطاع من حلقات التواصل مع الآخرين نقل هذه السعادة والتوافق إليهم.

٤. قداسة الروابط بين أفراد الأسرة:

هذه هي الوسيلة الرابعة لتحقيق التوافق الأسري والزواجي، فهي الأساس لتكوين البيت المسلم؛ بأن يقدم الفرد على الزواج برؤية متفائلة تنظر للزواج على أنه رباط روحي مقدس وتطبيق لمبدأ إسلامي ووصفه بالميثاق الغليظ في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١]. وكذلك ارتباط الأبناء بالآباء ارتباط ديني قائم على البر والإحسان والخضوع والتذلل لهما. ولانتفاء هذه القيمة المقدسة للرباط الزواجي، نجد كثرة حالات الطلاق، فقد وصل في بعض المجتمعات إلى ٦٠٪ و٧٠٪.

٥. الالتزام بالقيم الأخلاقية:

فعلى المقدم على الزواج أن يطوع نفسه ويدربها على القيم والأخلاقيات الإسلامية القومية، لأن البيت كمؤسسة اجتماعية إذا لم تقم على أساس أخلاقية فلن تقوم لها قائمة أبداً، فانهيار الأخلاق سبب فى انهيار الأسر والمجتمعات، وسقوط الأمم.. فلابد أن تبنى الأسرة المسلمة على الأخلاق والقيم الفاضلة فى جميع جنبات حياتها، العاطفية، والاجتماعية، والاقتصادية. قال أحد العكماء الفرنسيين عن أهمية الأخلاق فى بناء الأسرة والرجال: (لو حدث مثلاً أن فقدت القواعد الأخلاقية المتصلة بالزوجية سلطتها، أو ضعف احترام الزوجين للواجبات التى يلتزم بها كل منهما حيال الآخر لأفلت زمام الانفعالات والشهوات التى يحد منها ويتلظمها حالة من اليأس وخيبة الأمل، تتبدى فى صورة واضحة من إحصائيات الانتحار، وكذلك لو تزعزعت أركان الأخلاق التى تتحكم فى الحياة الاقتصادية فإن المطامع الاقتصادية لا تعرف حينئذ حداً تقف عنده وينشر الفساد بناء عليه).

كما جعل الرسول ﷺ من مقومات تحقيق السعادة والتوافق حسن الخلق مع الآخرين والرفق بهم وكان نموذجاً لحسن الخلق، منفذاً أمر ربه الذى حثه على الرفق واللين وحسن الخلق فى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن أبرز القيم المطلوبة لتحقيق التوافق الزواجي قيم العدل والإحسان بصفة عامة، والسكن والمودة والرحمة بصفة خاصة.

والإحسان مطلوب في كل الظروف ودون مقابل، فهو العلاقة الطبيعية التي يجب أن تربط الإنسان بأخيه الإنسان حتى لا تكون هناك خلافات ولا مشاكل. كما أنه من الواجب عدم إيقاف هذا الإحسان عند الجحود والنكران من قبل الآخرين؛ لذلك وضح الله تعالى التوجيه الرباني لعباده أن لا يذهبوا إحسانهم بالمن والأذى قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وبالتزام العدل والإحسان في العلاقات الإنسانية نضمن استمرار بقاء الإنسانية ورقيها.

تتدرج علاقة الإحسان حسب تدرج علاقة الإنسان بغيره وحسب درجة قرابتهم فكلما كان الإنسان أقرب كان الإحسان أكثر فبدأ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]. والإحسان للوالدين قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويفصل القرآن الكريم ميادين الإحسان تفصيلاً يصعب حصره وتحديده، فهو مطلوب في معاملة الإخوان، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

والإحسان مطلوب في الملمات قال تعالى: ﴿ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ [هود: ١١٥]. والإحسان مطلوب حتى حين يفلت رباط الأسرة ويحدث الطلاق، قال تعالى: ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والإحسان مطلوب في الخصومات والخلافات قال تعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [فصلت: ٣٤].

والإحسان مطلوب في معاملة الأيتام والضعفاء: قال تعالى: ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وعلاقة الوالدين بأولادهم عدل وإحسان، ويضاف إليها علاقة حب وعطف وإيثار، وعلاقة الأولاد بوالديهم علاقة تذلل ورحمة وإكبار وإجلال ويبر قال تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وقد جسد الرسول ﷺ علاقة العدل والإحسان في قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [البخاري، ج١] (وعاملوا الناس بمثل ما تحبوا أن يعاملوكم به) ربط ﷺ العدل بالإيمان ولغى سياسة الكيل بميزانين عملاً بقوله تعالى: ﴿ ويل للمطففين (١) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون

(٣) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾ [المطففين : ١ ـ٣]؛ فعلى المؤمن أن يكيل بميزان واحد لنفسه ولأخيه المسلم في جميع أموره وتعاملاته لكي لا يظلمه، ولا يحقره.

ولقد كان ﷺ نموذجاً لتحقيق هذه العلاقة بينه وبين أصحابه.. فقد ورد في السيرة «أن الرسول ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية وهو مستنصل من الصف فطعنه في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد فقال يارسول الله: أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقدني. فكشف رسول الله ﷺ بطنه، وقال: استقد، فاعتنقه فقبل بطنه: فقال: ما حملك على هذا ياسواد قال يارسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك. فدعا له رسول ﷺ بخير [ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٢٦].

ويتحقق قاعدة العدل والإحسان والرفق في العلاقات الإنسانية، تتحقق للأسرة المشاعر الطبيعية التي فطر الله الناس عليها. وفي العلاقة الزوجية يضاف إلى العدل والإحسان مستوى أرفع من العلاقات السامية وهو المودة والرحمة فعلاقة الزوج بزوجته مودة ورحمة.

فكان ﷺ نموذجاً للرفق والرحمة في بيته، ومع أهله، ومع الأطفال والخدم.. تحكي السيدة عائشة رضي الله عنها رحمته بها ومراعاته لصغر سنها تقول: «كنت ألعب بالبنات ـ أي اللعب ـ عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن فيلعبن معي» [البخاري، ٥٦٦٥]. وكانت عائشة رضي الله عنها توصي المسلمين بمراعاة ذلك مع أزواجهم حديثات السن تقول: رأيت النبي

يسترنى بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو [البخارى، ٤٨٣٥].

وكان ﷺ رحيماً بأطفاله وأطفال المسلمين فعن أسامة بن زيد قال كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن بن على على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما» [البخارى، ج١، ٦٠٠٣]. وقال ﷺ: (إنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها. فأسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) [البخارى، ٧٠٧].

كما وضع الرسول ﷺ عوامل لاستقرار الأسرة لتعيش آمنة مطمئنة مستقرة، وليضمن تحقيق استمراريتها فيما يلى:

١. قرر الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد الأسرة منها:

- حقوق الوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

- حقوق الأولاد، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٢٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يؤمرون ﴾ [التحريم: ٦]. وقال الرسول ﷺ (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم، فإن أولادكم هدية إليكم) [رواه ابن ماجه].

- وحقوق الأخوة فيما بينهم، قال ﷺ: (حق كبير الأخوة على صغيرهم، كحق الوالد على ولده) [رواه البيهقي والطبراني] وقال (بر أمك وأباك، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك) [رواه البيهقي].

- وحقوق الزوجين هي حقوق متبادلة أيضاً تسودها الأمانة والثقة، والأدب والطاعة، وقال تعالى: ﴿عاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ [النساء: ١٩]. وقال الرسول ﷺ (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) [رواه الطبراني] وقال ﷺ: (خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها) [رواه الطبراني].

٢ - عمد الرسول ﷺ إلى ترسيخ الوفاق في جو الأسرة لما يتركه الشقاق من آثار سلبية على الأطفال وأفراد الأسرة.. لذلك حث الرسول ﷺ على الرفق ولين الجانب في القول والفعل؛ حيث قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) [مسلم، ٢٥٩٤] فهو طريق موصل إلى الجنة، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

وكان يحث السيدة عائشة على الرفق فقال: (يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق) وفي رواية: (إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق) [أحمد في المسند ٦/١٠٤] فالرفق ينمي روح المحبة والتعاون بين الناس، ويثمر محبة الله ومحبة الناس.

كما حذر السيدة عائشة رضى الله عنها من العنف فقال لها: (مهلاً ياعائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش...) [البخارى، ج١٠، ٦٠١٣] فالرفق دليل على صلاح العبد وحسن خلقه، والطريق لإنشاء مجتمع سالم من الغل والعنف.

قال سفيان الثورى لأصحابه: (تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور فى مواضعها: الشدة فى مواضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه. وهذه إشارة إلى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والقظاظة بالرفق).

وكان ﷺ يدعو على من يشق على الناس أو يضيق عليهم حيث قال ﷺ: (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فشق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فأرفق به) [مسلم، ١٨٢٨].

كما كان الرسول ﷺ نموذجاً فى تحقيق المنهج الربانى فى الخلافات الزوجية الذى ورد فى القرآن قال تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾ [النساء: ٣٤].

كان ﷺ من أكثر الرجال صبراً على نسائه وكان ألطفهم وأحسنهم خلقاً فى احتمال الأذى منهن والحلم عند غضبهن فقد قال أنس بن مالك (كان رسول الله ﷺ لأرحم الناس بالنساء...) ورواه مسلم وكان يتقبل برحابة صدر هجران زوجاته فقد كانت الواحدة منهن تهجره يوماً إلى الليل لكن لاتزيد، وكان يتقبل تدللهن عليه بحلم وصبر وكرم. وحدث مرة خلاف بين رسول الله ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فتدخل والدها أبو

بكر رضي الله عنه حكماً فقال لها رسول الله: تكلمين أو أتكلم؟ قالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقاً. فلطمها أبو بكر، وقال لها غاضباً: يا عدوة نفسها أو يقول رسول الله غير الحق؟ فاستجارت عائشة برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فحماها، وقال لأبي بكر معاتباً بصبر عظيم وتسامح أعظم: لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا!

فحري بأولياء الأمور والآباء والأمهات وكل من له ولاية على أسرة أن يقتدي بسيرة الرسول ﷺ، ويتوخى الرفق في كل أمره ومعاملته مع زوجاته وأسرته والتزام جميع أمره.

ثانياً: الطرق والوسائل العلاجية بعد الزواج:

١. الالتزام بآداب الأسرة الإسلامية:

لقد أدب الإسلام كلا من الرجل والمرأة في نطاق الزوجية، ليبقى ظل الأسرة بارداً كريماً عليهما وليبقى حماها مصوناً وبنيانها غير منهار وهذه الآداب تتلخص فيما يلي:

- على الزوجين أن يتشاورا ويتراضيا في أمور أطفالهما رضاعة وحضانة وتأديباً.
- على الزوج ألا يتيح الفرص لامرأته لمجالسة غير المحارم من أهلها وأهله منعاً للفتنة.
- بل ذهب الإسلام أبعد من ذلك فوضع سياجاً بين الزوجين في فترات الاختلاء ونزع الرداء وبين الذين يعيشون معهما تحت سقف واحد، من أولاد وخدم واتباع، لئلا يطلعوا على عوراتهما لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ

ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ [النور: ٥٨].

- ولما كانت المرأة بطبيعتها المغرمة بالإغراء، عاملة جاهدة فى التطيب والتزين للرجل، فقد أوصى الإسلام الرجل أن يتزين ويتطيب لزوجته كما تفعل هى له؛ لحرص الإسلام على أن يقتصر إغراء الزوجة وجاذبيتها على زوجها، وأن يعاملها المعاملة نفسها ليمتنع تطلع كل منهما إلى غير رفيقه.
- وللحكمة نفسها البالغة أوصى الرجل إذا عاد من سفر ألا يطرق أهله ليلاً؛ حتى يلقاها وهى عالمة به متهيئة له ممشوطة الشعر نظيفة الثغر.
- وقريب من هذا الأدب الذى يعمل على تقوية رباط العلاقة الزوجية ويبقى ودادها أن الرجل إذا رأى من امرأة أخرى لا تحل له ما يعجبه، ويكاد يفتن بها... عليه أن يفزع من فوره إلى أهله ليلتمس عندها ما تمناه من تلك، وإنه لواجد المبتغى نفسه، وصدق النبى ﷺ فى قوله (فإن معها مثل الذى معها)، وبهذا تحتمى الأسرة من الخيانات الزوجية التى تهدم البيوت وتلوث الأعراض.
- كما ركز الإسلام على إشباع هذه الغريزة وحذر المرأة من التسويف أو التمنع قال الرسول ﷺ: (إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات وهو عليها ساخط، لعنتها الملائكة حتى تصبح) [رواه البخارى ومسلم]

وقال ﷺ: (المرأة لا تؤدى حق الله عليه حتى تؤدى حق زوجها كله ولو سألها، وهى على ظهر قتب لم تمنعه نفسها) [رواه الطبرانى] ذلك لأن قضية إحصان الرجل وإبعاده عن الفتنة أهم من كل عمل تقوم به المرأة.

- والعلاقة الجنسية بين الزوجين فى الإسلام، تسبقها وتمهد لها مداعبات لطيفة، وملاعبات رقيقة، وأقوال جميلة تثيرفى الزوجين مشاعر الحب والسعادة. وكان الرسولﷺ ينصح أصحابه رضوان الله عليهم بمداعبة زوجاتهم قبل الممارسة الجنسية. ويذكر عن جابر بن عبدالله قال: (نهى الرسول ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة) [ابن قيم الجوزيه، الطب النبوى، ٢٣٤]. وقد سبق الرسول ﷺ أصحابه إلى مداعبة زوجاته قبل مواقعتهن لما لهذا العامل من أثر كبير فى حصول الإشباع الجنسى لكل الزوجين وحدوث الاستقرار فى الحياة الزوجية.

كما أن العلاقة الجنسية فى الإسلام اتسمت بطابع فريد جداً يظهر من خلال الدعاء قبل الجماع، والمداعبة، وإلزام كلٍ من الزوجين بالغسل بعد الجماع، فنجده يضع ضوابط لهذه العملية بحيث تخدم جوانب عديدة فى شخصية كل من الزوجين مثل: النظافة، والطهارة، والتعلق بالله حتى فى هذا الموقف؛ مما يجعل هذا العامل من أقوى أسباب التوافق الزواجى.

- ومن آداب الأسرة أن يقول الرجل لزوجته إذا فعلت خيراً: أحسنت. كما كان النبى ﷺ يقول لزوجته: (أحسنت يا عائشة)، هذا مما ينمى مفهوم الاحترام وهو من المفاهيم الأساسية فى العلاقات الزوجية، وأن يتبادل الزوجان التعاون على البر والتقوى.. ففى الحديث: (رحم الله رجلاً قام

من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح فى وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء).

- ولكى تتوثق الأواصر بين الأسر المتزوجة، أوصى الله تعالى بصلة الأرحام بمعنى التزاور والتعاطف والبر يقوم به الزوج تجاه أهله وأهل زوجته، وتقوم به الزوجة تجاه أهلها وأهل زوجها، وما أوفر الثمرات التى تأتى بها صلة الرحم فإنها كما جاء فى الحديث: (محبة فى الأهل، مثراة فى المال، منساة فى الأثر).

- ومن آداب الأسرة المسلمة ألا تأذن المرأة لأحد فى بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، وألا تتحدث عند الناس ولا يتحدث الرجل أيضاً عما يفضى كل منهما إلى رفيقه من عورات. ولعل خلاصة هذه الآداب نذكر قول الرسول ﷺ: (خياركم خياركم لأهله) وقوله (من أفسد امرأة على زوجها فليس منا) مما يؤكد حرص الإسلام على حماية الأسرة وتحقيق التوافق فى أجوائها.. كل هذه الممارسات تعمل على تقوية العلاقات الزوجية وترفع نسبة التوافق الزواجى فى الأسرة؛ بحيث تنمى أهم مفاهيمها الأساسية مثل الحب، والاحترام، والانتماء، والتعاون، التفاهم، الصداقة...

٢- التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب:

لابد أن تقترن كل تلك الآليات بالنية الخالصة، ثم التوكل على الله فى جميع الأمور التى تخص الزواج والأسرة، وسؤاله التوفيق والسعادة والهداية

لتحقيق التوافق الزواجي؛ لقول الرسول ﷺ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً) [رواه أحمد وابن ماجه والترمذي] والرزق هنا شامل لكل ما يحتاجه الإنسان سواء كان رزقاً مادياً أو معنوياً. وقال ﷺ: (إعقلها وتوكل) [الترمذي]. فالتوكل مفهوم أساسي في العقيدة الإسلامية وهو الدافع المحرك للعمل وهو سبب هداية الله للعبد وتسديده في العمل لقوله تعالى: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢. الدعاء وسؤال الله التوفيق والسداد:

إن الدعاء سلاح يجهل أثره كثير من الناس.. إلا أن الله سبحانه وتعالى جعله بيد المؤمنين يلجأون له به في كل وقت وحين، وقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده من إهمال الدعاء كما جعله معياراً لمحبته سبحانه قال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة: ١٨٦]. فالدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله وعده بالإجابة وخصوصاً إذا أتى بأسباب الإجابة وهي الاستجابة لله تعالى، والانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة فلهذا

قال: (فليستجيبوا لى لعلهم يرشدون) أى: يحصل لهم الرشد، الذى هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم البغى المنافى للإيمان والأعمال الصالحة.

وقد علم الرسول ﷺ أمته كثيراً من الأدعية والأذكار لكل أعمال الإنسان وأفعاله سواء فى يقظته أو عند منامه، ومن الأذكار والأدعية التى علمها الرسول ﷺ لأمته عند إقدام الرجل على الزواج فقال ﷺ: (إذا تزوج أحدكم امرأة فليقل: (اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه) [رواه أبو داوود وابن ماجه ٢/٢٤٨، ١/٦١٧]. وقد جعل من سننه ﷺ الدعاء للمتزوج بقوله: (بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما فى خير) [رواه البخارى ٧/١٢٥] وقد سن الرسول ﷺ الدعاء فى كثيرمن السلوكيات الزواجية العامة والخاصة، ومنها دعاء دخول الخلاء والخروج منه ودعاء دخول المنزل والخروج منه، ودعاء الركوب، ودعاء النوم، ودعاء الاستيقاظ .... ولعل أهمها الدعاء قبل الجماع وهو قوله ﷺ: (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) [البخارى، ٦/١٤١] والالتزام بهذه الأدعية فى جميع الممارسات السابقة سيكون سبباً فى الهداية والتوافق من الله سبحانه وتعالى.